

## الفصل السادس

### الحركات السياسية والفكرية فى العالم العربى بين فكرة الجامعة الاسلامية وحركة التنريك

- محاولات السلطان عبد الحميد استخدام الرابطة الدينية فى مواجهة اعدائه .
- سكة حديد الحجاز .
- فكرة الجامعة الاسلامية بين الأفغانى وعبد الحميد .
- الكواكيبى والدعوة إلى انتقال الزعامة للعرب .
- الجمعيات السرية ودورها فى الدعوة للحركة العربية .
- الثورة العربية الكبرى وأحوال العرب السياسية خلالها .
- اتفاقية سايكس بيكو .
- تصريح بالفور .
- احوال العالم العربى خلال الحرب العالمية الأولى وفى اعقابها .
- العرب ومؤتمر الصلح فى باريس .

بعد تفاقم الاعتداءات الأوربية على العالم العربى منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادى، وتمايق الدول الاستعمارية فى السيطرة عليه، شعر المسلمون بمدى الخطر الذى يحيق ببلادهم، ورأوا ضرورة جمع كلمتهم فى شتى بقاع الأرض للوقوف فى وجه أعداء الاسلام ومن ثم استيقظت لديهم فكرة احياء الوحدة الاسلامية الكبرى لتوحيد الجهود فى مواجهة الاستعمار فنشأت فكرة الجامعة الاسلامية.

لقد كان مبعث ولاء المسلمين للسلطنة العثمانية دينيا حيث كانوا مكلفين شرعا بطاعة السلطان العثمانى باعتباره الخليفة والأب الروحى للمسلمين<sup>(١)</sup> خاصة وان الفكرة المتسلطة على العقول فى ذلك الوقت كانت تقتضى ضرورة طاعة السلطان " حيث له عليهم الولاية العامة والطاعة التامة والسلطان الشامل، وله حق القيام على دينهم، فيقيم فيهم حدوده وينفذ شرائعه، وله بالأولى حق القيام على شئون دنياهم أيضا " ولم يكن هناك ما يسمى جنسية عربية، فكلمة عثمانى كانت تنطق على كل من يقطن البلاد العثمانية ومنها البلاد العربية<sup>(٢)</sup>.

ونظرا لتأزم الأمور فى العالم العربى رأى السلطان عبد الحميد أهمية استخدام الرابطة الدينية لمقاومة معارضيه فى الداخل ومواجهة أعداء الاسلام فى الخارج وذلك بإبراز السمات الدينية لمنصبه بصفته خليفة للمسلمين وبغرض تسخير قوة الدين لغاياته السياسية وحتى يضمن التفاف العالم العربى حوله، وجمع كافة الشعوب الاسلامية بما فى ذلك الشعوب الخاضعة للاستعمار الأوربى وخاصة أهالى شمال افريقية الخاضعين لفرنسا، ومسلمى الهند الخاضعين لبريطانيا وغيرهم<sup>(٣)</sup> ونتيجة لذلك حاول السلطان عبد الحميد كسب ود القوميات المختلفة داخل السلطنة العثمانية وخاصة العرب فاعدق بالعديد من المناصب ومظاهر التكريم على بعض الشخصيات العربية، وانفق الأموال الطائلة على اصلاح وتزيين المساجد فى مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف، ولكى يزيد من سيطرته على الأراضى المقدسة عين وال على الحجاز من قبله بقصد اخضاع هذه البلاد لحكمه المباشر، وسارع فى الاعلان أن سلطته الزمنية تستند إلى سلطته الدينية فهو ظل الله فى الارض وأمير المؤمنين، وخادم الحرمين يضاف إلى ذلك أنه حاول اقتناع الرأى العام الاسلامى أن الخلافة والسلطنة متكاملتان حتى إذا ما استعادت الخلافة مكانها اللائق بها عمد إلى تسخيرها لتكون قوة دافعة لتحقيق أغراضه السياسية .

ولكى يجذب السلطان عبد الحميد قلوب عامة المسلمين اليه احاط بحياته الخاصة باطار من التقى والتشف، كما احاط نفسه برهط من الفقهاء ورجال الدين الذين يتمتعون بشهرة واسعة بين ابناء المسلمين كما أخذ فى التقرب من العرب بشكل واضح فأدخل بعضهم فى خدمته الخاصة، وشكل فرقه مختارة منهم ضمها إلى حرسه الخاص كما وضع بعضهم فى مراكز بارزة من السلطنة مثل عزت باشا العابد السورى الذى صار من سكرتارية السلطان<sup>(٤)</sup>، وابى الهدى الصيادى الذى كان من أشد المقربين اليه والسؤال المطروح هو: لماذا قرب السلطان عبد الحميد العرب بالذات اليه أثناء دعوته لفكرة الجامعة الاسلامية ؟

<sup>(١)</sup> عن انتقال الخلافة لآل عثمان انظر. محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربى ص١٢

<sup>(٢)</sup> عبد المنعم الجمعى: عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية، ١٩٨٠ ص٢٣١

<sup>(٣)</sup> Antonius,G:the Arab Awakening ١٩٣٨ P.٧٥

<sup>(٤)</sup> منسى: المرجع السابق ص٧٤

الواقع ان السلطان عبد الحميد كان يعي قيمة العرب في مسانדתه لدعوتهم خصوصا وأن منهم رسول الله، وفيهم نزلت الرسالة وبلغت للناس أجمعين وإلى جانب ذلك فقد اهتم السلطان عبد الحميد بأمور الحج فدفع شريف مكة لنشر دعوته بين الحجاج كما اهتم بمشروع خط سكة حديد الحجاز الذي يمتد من دمشق إلى المدينة فمكة، وذلك بهدف تسهيل أمور الحجاج ظاهرا، ولرغبته في رفع مكانته كخليفة في العالم الاسلامي كله بينما كان السبب الحقيقي يتعلق بالعديد من العوامل السياسية والعسكرية خاصة وانه يمكنه من نقل قواته إلى شبه الجزيرة العربية راسا مما يسهل له تقوية قبضته عليها وتشديد سيطرته خاصة على الحجاز واليمن .

ولأجل تنفيذ هذا المشروع عين السلطان لجنة برئاسة عزت باشا العابد، كما وجه نداء إلى العالم الاسلامي يوضح فيه فكرة مد هذا الخط الحديدي، ويطلب من المسلمين الاكثاب لتغطية نفقاته . وقد جذب هذا المشروع انظار العرب، وأثار حماسا كبيرا في مختلف جهات العالم الاسلامي فانهالت التبرعات من كل مكان لانشاء هذا الخط حتى وصل ماقدمه ابناء العالم الاسلامي من هبات للمشروع ثلثه ملايين من الجنيهات التركية أي ما يوازي ثلث التكاليف. وقد قام المهندسون الألمان في عام ١٩٠١ وبتشجيع من السلطان ببناء هذا الخط الحديدي الممتد من دمشق، وقد انتهى العمل فيه في عام ١٩٠٨ عندما امتد إلى المدينة المنورة<sup>(١)</sup> ولكنه سرعان ما توقف نشاطه بسبب قيام الحرب العالمية الأولى ونسف الانجليز لجزء كبير منه .

ونتيجة للحماس الاسلامي لهذا المشروع وتأييد عامة المسلمين للخلافة شعر السلطان عبد الحميد بالارتياح وقد ظل معظم زعماء المسلمين على ولائهم للدولة العثمانية باعتبارها دولة الاسلام الكبرى التي تظل المسلمين بظلالها، ولم يفكروا في الانفصال عنها، بل كان جل ما يسعون اليه هو ادخال الاصلاحات السياسية والاقتصادية في نظام الدولة حتى تتمكن من النهوض والتقدم في مواجهة الأطماع الاستعمارية . والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل كان السلطان عبد الحميد أول الداعين إلى فكرة الجامعة الاسلامية؟ الواقع انه قبيل اعتلاء عبد الحميد العرش بسنوات قام جمال الدين الأفغاني بالدعوة إلى الجامعة الاسلامية بهدف أن يرتفع بالشعوب الاسلامية إلى مستوى الأمم الحرة الناهضة وأن يعمل على تحرير الشرق من سيطرة الغرب الأوربي ونظرا لأهمية الدور الذي قام به في الدعوة إلى الجامعة الاسلامية فانا سنقوم بالتعريف به وبأهم اعماله .

تتضارب الروايات حول مولد جمال الدين فمنها من قال أنه افغاني مولود في أفغانستان، ومنها من قال انه فارسي مولود في همدان .

والواقع أن كل من تقرب من جمال الدين عرف انه من أفغانستان، وأن مولده كان في أمد اباد عام ١٢٥٤هـ الموافق ١٨٣٨م<sup>(٢)</sup>، وانه عندما شرع السلطان عبد الحميد في الدعوة إلى سياسته الاسلامية كان الأفغاني في أوجه نشاطه ينتقل بين أوربا وفارس وتركيا لدعوة المسلمين إلى التكاتف والتآزر في مواجهة اعداء الأمة الاسلامية .

وحركة الجامعة الاسلامية التي دعا اليها الافغاني هدفت إلى وقف الزحف الاستعماري عن طريق تنظيم الحكومات الاسلامية القائمة، وادخال الأفكار والنظم الغربية التي تساعد على التطور ثم توحيد

(١) توفيق برو : المرجع السابق ص ٤٥ .

(٢) لوثروب ستودارد: حاضر العالم الاسلامي، المجلد الأول الطبعة الرابعة ١٩٧٣م ص ٢٨٩

صفوف المسلمين لمواجهة التيار الاستعماري الزاحف وإلى جانب ذلك فقد نادى الافغانى بتقوية الروابط بين البلدان الاسلامية، واقامة العدل والشورى والتمسك بهدى القرآن، كما اقترح اثناء حلف اسلامى تنزعه الدولة العثمانية، وكانت خطته تتضمن تحويل الامبراطورية العثمانية إلى مملكة الممالك بتنظيمها على أساس لامركزى، ومن أجل ذلك طالب الافغانى السلطان عبد الحميد بتحويل الولايات العثمانية إلى خديويات كما كان متبعاً فى مصر حتى تقوى الروابط فيما بينها ، ويؤدى ذلك إلى انضمام بلدان مثل ايران وافغانستان والامارات الاسلامية فى الهند إلى الامبراطورية العثمانية فى شكلها الجديد وبذلك يمكن حماية بلاد المسلمين من سيطرة الغرب المسيحي<sup>(١)</sup> .

ولترويج فكرة الجامعة الاسلامية انشأ الافغانى فى باريس جريدة العروة الوثقى فى عام ١٨٨٤ وكتب فيها العديد من المقالات التى تدعو إلى اتحاد المسلمين، وضرورة جمع كلمتهم منها مقال عنوانه "الجنسية والديانة الاسلامية" الذى دعا فيه الافغانى إلى ضرورة التأثير بحياة المسلمين الأوائل وسيرة السلف الصالح بقوله "هَذَا ما ارشدتنا اليه سير المسلمين من نشأة دينهم إلى الآن، لا يعتدون برابطة الشعوب وعصبيات الأجناس، وانما ينظرون إلى جامعة الدين، لهذا ترى العربى لا ينفر من سلطة التركى، والفارسى يقبل سيادة العربى، والهندي يذعن لرياسة الأفغانى، ولا اشمئزاز عند أحد منهم، ولا انقباض، وان المسلم فى تبدل حكوماته لا يأتف ولا يستنكر ما يعرض عليه فى أشكائها وانتقالها من قبيل إلى قبيل مادام صاحب الحكم حافظاً بشأن الشريعة"<sup>(٢)</sup> .

وأوضح الافغانى أن رابطة الدين هى الرابطة القومية التى يتمسك بها المسلمون فقال "علمنا وعلم العقلاء أجمعون أن المسلمين لا يعرفون لهم جنسية إلا فى دينهم واعتقادهم" كما طالب المسلمين بالتمسك برابطة الدين بقوله "اعتصموا بحبال الرابطة الدينية التى هى أحكم رابطة اجتمع فيها العربى بالتركى، والفارسى بالهندي ، والمصرى بالمغربى، وقامت لهم مقام الرابطة النسبية حتى أن الرجل منهم ليتألم لما يصيب أخاه من عدايات الدهر، وان تناعت دياره وتقاصت أقطاره هذه صلة من أمتن الصلات ساقها الله اليكم، وفيها عزتكم ومنعتكم وسلطاتكم وسيادتكم فلا توهنوها"<sup>(٣)</sup> .

وعلى كل حال فانه ما كاد السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى يبدأ الدعوة إلى الجامعة الاسلامية حتى وجد التأييد والعون من الافغانى الذى كان يرى ضرورة توحيد العالم الاسلامى تحت حكم خليفة واحد، ولايهتم بجنس ذلك الخليفة سواء أكان تركيا أم افغانيا أم عربيا، ولكن ذلك العون لم يستمر طويلا خاصة بعد أن اتضح أن أفكار كل منهما تسير فى مسار يخالف مسار أفكار الآخر ففى حين كان الافغانى يسعى إلى العثور على حاكم مسلم يستطيع عن طريقه تجديد العالم الاسلامى، وهذا ما جعله يتطلع إلى السلطان العثمانى لمحاولة استخدام نفوذه فى سبيل خدمة الاسلام كان السلطان عبد الحميد - على العكس - تراوده الآمال فى استخدام الافغانى وافكاره عن الجامعة الاسلامية فى جمع شتات المسلمين حول عرشه تحقيقا لمصالحه وللمحافظة على سلطانه، وإلى جانب ذلك فان الافغانى فى دفاعه عن الاسلام كان ينادى بجعل اللغة العربية هى اللغة الاولى فى الدولة العثمانية، خاصة وان اللسان العربى هو لسان الدين، ويدفعه ذلك إلى حد المطالبة بتعريب الدولة العثمانية لانها لو تعربت وانتفى من بين الامتين النعرة القومية، وزال داعى

<sup>(١)</sup> منسى: المرجع السابق ص ٧١-٧٢

<sup>(٢)</sup> جمال الدين الافغانى وعمد عبده: العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى. مقال بعنوان "الجنسية والديانة الاسلامية"

<sup>(٣)</sup> العروة الوثقى: مقال التعصب

التفوق والانقسام بين التركي والعربي، وصاروا أمة عربية بكل ما فى اللسان من معنى ومافى الدين الاملاى من عدل ومافى سيرة أفاضل العرب من اخلاق وفى مكارمهم من عادات لكان اعادة عصر الرشيد للمسلمين ميسورا

وننتيجة لذلك بدأ السلطان عبد الحميد يشك فى نوايا الأفغانى ، ويخشى أن يكون هدفه العمل على استقلال البلاد العربية عن السلطنة العثمانية <sup>(١)</sup>

وعلى أى حال فقد كان السلطان عبد الحميد يشعر بالارتياح لأن ابناء العالم العربى فى ذلك الوقت كانوا يميلون إلى تأييد الخلافة على أساس أن فى ذلك تأييدا للاسلام، ووقفا فى وجه الأطماع الاستعمارية ولذلك فان اليقظة العربية التى برزت فى ذلك الوقت كان هدفها الرغبة فى الاصلاح فى ظل الدولة العثمانية دون التفكير -آنذاك- فى اقامة دولة عربية مستقلة <sup>(٢)</sup> ولكن ذلك لم يستمر طويلا فسرعان ما ظهرت أفكار عبد الرحمن الكواكبي التى تدعو إلى الغاء حق السلطان العثمانى فى الخلافة وإلى المناداة بتصيب خليفة ينتمى الى قريش وأن يكون مركزه مكة (ام القرى) وطالب بجمع كلمة المسلمين فى ظل هذه الخلافة، كما تخيل الكواكبي فى كتابه "ام القرى" أن اثنين وعشرين شخصا يمثلون علماء وفقهاء المسلمين فى اثنين وعشرين قطرا من الاقطار الاسلامية اجتمعوا فى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وبعد تبادل الآراء فيما بينهم فى أكثر من اثنتى عشر جلسة رسمية اتفقوا على تشكيل جمعية غايتها بعث الاسلام واعلاء كلمة الله. ثم اخذوا يرسمون خطط الاصلاح لاستعادته امجاد الأمة الاسلامية فى عصورها الزاهرة <sup>(٣)</sup> ورأوا انشاء جمعية تحوز رضا الحكومات الاسلامية ويكون دورها النهوض "بالأمة من وهدة الجهالة والترقى بها فى مدارج المعارف" <sup>(٤)</sup> .

وكان من الطبيعى أن تساعد الأفكار التى نادى بها الكواكبي على انتقال الزعامة إلى العرب فشكلت جمعيات عربية وضعت مناهج محددة هدفها حماية حقوق العرب، فشكل نجيب عازورى فى باريس عام ١٩٠٤ منظمة اطلق عليها رابطة الوطن العربى وكان هدف هذه المنظمة تخليص بلاد الشام والعراق من السيطرة العثمانية بمساعدة فرنسا، وقد وضع عازورى افكاره فى كتاب اسماه " يقظة الأمة العربية " .  
والسؤال المطروح هو لماذا تزايدت فى هذا الوقت بالذات فكرة الانفصال عن الدولة العثمانية، وبدأ صداها يتردد بسرعة بين ابناء الوطن العربى ؟

الواقع انه بعد نجاح جمعية الاتحاد والترقى فى السيطرة على زمام الأمور بالدولة العثمانية بدأ افرادها فى تبنى فكرة تمييز العنصر التركى على العنصر العربى، ومحاولاتهم القضاء على اللغة العربية لغة القرآن الكريم، واحلال اللغة التركية محلها، وابعادهم عن مقوماتهم الثقافية وروحهم العربية، يضاف إلى ذلك ان حكومة الاتحاديين كانت ترى ان تكون السيادة للعناصر التركية على العرب <sup>(٥)</sup> وترويج المصلحة التركية على المصلحة العربية، وتمجيد العنصر التركى ورفعته فوق العناصر الأخرى، مما أدى إلى ذعر العناصر العربية، ورفضها لفكرة الدعوة إلى الوحدة العثمانية التى طلب منها قبولها والاحلاص

<sup>(١)</sup> حمد عمارة: الأعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى ص٧٦

<sup>(٢)</sup> منسى: المرجع السابق ص٧٦

<sup>(٣)</sup> عبد الرحمن الكواكبي: أم القرى، وهو ضبط مفاوضات ومقررات مؤتمر النهضة الاسلامية المنعقد فى مكة المكرمة ١٣١٦هـ - بيروت، دار التراث العربى ص٧-٨.

<sup>(٤)</sup> نفسه ص١٨

<sup>(٥)</sup> عمر عبد العزيز: تاريخ المشرق العربى ص٤٢٧

لها، والاندفاع نحو الفكرة العربية<sup>(١)</sup> خاصة بعد أن اتضح للعرب أن استمرار التعاون مع الاتحادين بات مستحيلا، وأنه يجب عليهم اتخاذ الخطوات اللازمة للدفاع عن حقوقهم والمحافظة على مصالحهم. ونتيجة لذلك تشكلت الجمعيات السرية التي اعلنت معادتها للدولة العثمانية، وللاتحاديين كما تشكلت بعض الجمعيات والنوادي العلنية ذات البرامج المعتدلة وكانت هذه الجمعيات في ظاهرها أدبية علمية، وفي باطنها سياسية تحريرية ومن أهم هذه الجمعيات نذكر :

#### ١- جمعية المنتدى الأدبي :

أسست في الآستانة في صيف عام ١٩٠٩ من بعض الموظفين والمبوعوثين والكتاب والطلاب وكانوا في معظمهم من السوريين وكانت مركزا يلتقى فيه العرب من زوار العاصمة والمقيمين فيها، وقد تمتعت هذه الجمعية بنفوذ سياسي كبير ، وانحصرت مساهمتها في تنمية الدعوة للحركة العربية وتوسيع مداها، كما كان لها فروعاً مختلفة في بلاد الشام والعراق هذا إلى جانب نشاطها في القاهرة. وظلت هذه الجمعية تزاول انشطتها حتى اغلقتها الحكومة التركية في عام ١٩١٥<sup>(٢)</sup> .

#### ٢- حزب اللامركزية الادارية العثمانية :

تأسس في عام ١٩١٢ بالقاهرة بهدف إقامة نظام لامركزي في الولايات العربية داخل اطار الدولة العثمانية وتعبئة الرأي العام العربي لتأييد هذا لطلب. وقد كان لهذا الحزب فروعاً في معظم بلاد الشام. ولم يمض عام على تأسيس هذا الحزب حتى أصبحت لجنته تنطق بلسان العرب وتعرب عن أمانتهم<sup>(٣)</sup>

#### ٣- الجمعية القحطانية :

جمعية سرية اتشنت في عام ١٩٠٩، واشترك في تأسيسها عزيز المصري، وبعض الضباط العرب، وكان هدف القائمين عليها تحويل الامبراطورية العثمانية إلى دولة ثنائية بحيث تتكون من الأقاليم العربية دولة واحدة لها برلماناتها، وحكومتها المحلية، ولغتها العربية يتولى حكمها السلطان العثماني إلى جانب حكمه للدولة التركية وظلت هذه الجمعية تزاول نشاطها السرى حتى نشوب الحرب العالمية الأولى<sup>(٤)</sup> .

#### ٤- جمعية العربية الفتاة :

تأسست هذه الجمعية على أيدي الطلبة العرب في باريس عام ١٩١١ ثم انتقلت إلى بيروت في عام ١٩١٣ وبعد ذلك انتقلت إلى دمشق وبقيت بها حتى عام ١٩٢٠ تقريبا. وكان هدف هذه الجمعية في بداية الأمر النهوض بالوطن العربي، وتمتعه بالحكم الذاتي في ظل الدولة العثمانية ثم تغيير هدفها بعد نشوب الحرب الأولى، وأصبح انشاء دولة عربية ذات سيادة وبعيدة عن النفوذ التركي<sup>(٥)</sup> . وإلى جانب هذه الجمعيات وجدت جمعيات أخرى محدودة الأهمية ابرزها جمعية "الجامعة العربية" التي اتشأها محمد رشيد رضا صاحب المنار والذي كان يرى أهمية التعاون بين العرب والترک وجمعية

(١) انطونيوس: المرجع السابق ص ١١٤

(٢) أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى ص ٩

(٣) انطونيوس: المرجع السابق ص ١١٧-١١٨

(٤) توفيق على برو : العرب والترک في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨-١٩١٤ ص ٣١٩-٣٢٢

(٥) أمين سعيد: المرجع السابق ص ٩

بيروت الإصلاحية التي تكونت في أواخر ١٩١٢ وكانت اللامركزية هي الأساس الذي ارتكزت عليه مطالبها كما كان من بين مطالبها أن يكون تعيين الموظفين من أهالي البلاد الذين يعرفون العربية وجمعية العهد التي اسمها مجموعة من الضباط العرب برئاسة عزيز المصري في عام ١٩١٣ والتي كانت تهدف إلى إقامة مملكة ثنائية بمعنى الحصول على الاستقلال الداخلي للبلاد العربية في ظل الخلافة العثمانية، ومع ذلك فإن هذه الجمعية لم تنجح في تحقيق أهدافها بسبب تعارض خططها مع سياسة الاتحاديين الذين أمروا بالقبض على عزيز المصري ومحاكمته مما أدى إلى غليان الشعور العربي ضد العثمانيين حتى صدر العفو عنه .

هذه كانت أهم الجمعيات التي ألغها الأحرار العرب بهدف إبراز الكيان العربي داخل الدولة العثمانية، ومن أجل توحيد الجهود بين هذه الجمعيات عقد المؤتمر العربي الأول في عام ١٩١٣ بباريس واشترك فيه مندوبون عن كافة الجمعيات الوطنية العربية. وقد جاء في الدعوة لعقد هذا المؤتمر أنه في مقدمة الأسباب التي دعت الحاجة إليه حالة الفوضى والاضطراب التي شملت البلدان العربية نتيجة لانكار مطالبها، واعلن ان المسائل التي سيدور حولها البحث في المؤتمر هي :

١- حقوق العرب في الدولة العثمانية .

٢- ضرورة الإصلاح على اساس اللامركزية .

٣- الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال .

وقد اكد المتحدثون رغبتهم في المحافظة على كيان الدولة العثمانية شريطة الاعتراف بحقوق العرب السياسية .

ومع ذلك فإن الاتحاديين حاولوا منع إقامة هذا المؤتمر باقناع الحكومة الفرنسية بعدم السماح بعقده في أراضيها ولما عجزوا عن ذلك حاولوا تهدئه مشاعر العرب الثائرة باعطائهم بعض الوعود حول استخدام اللغة العربية كأداة للتعليم في المدارس الابتدائية والثانوية ، واغرائهم ببعض الوظائف<sup>(١)</sup> أما بخصوص اللامركزية قد عارضتها حكومة الاتحاديين .

هذه كانت أحوال العالم العربي قبيل الحرب العالمية الأولى والتي اتسمت بالحركة العربية خلالها بمحاولة التوفيق بين مطالبها وبين الولاء للدولة العثمانية ولكن سيطرة جمعية الاتحاد والترقي على زمام الأمور في تركيا بعد خلع السلطان عبد الحميد ومحاولات الاتحاديين تتريك العرب واذابة قوميتهم داخل القومية التركية والقضاء على اللغة العربية، واعتبار الاتراك سادة والعرب مسودين. كل هذه الأمور دفعت العرب إلى التفكير في الانفصال عن الدولة العثمانية ومن هنا دخلت حركتهم في طور جديد، وساعدهم على ذلك قيام الحرب العالمية الأولى، وانضمام الدولة العثمانية بجانب اعداء بريطانيا .

ونتيجة لذلك قام الاتراك بمحاولات عدة للقضاء على هذه الحركة، فساقوا زعمائها الى مجالسهم العرفية في عالية لبنان، كما أصدروا حكم الاعدام على اكثرهم ونفذ الحكم في ساحتي دمشق وبيروت العموميتين، كما ارسلت الدولة العثمانية الوالي جمال باشا إلى بلاد الشام الذي نشر جواسيسه لتتبع أخبار رجال الحركة العربية مما كان له اكبر الأثر على زيادة الغليان ضد الحكم التركي واصرار العرب على التخلص منه .

(١) أمين سعيد - المرجع السابق - ص ٣٨ - ٣٩ .

## الثورة العربية الكبرى واحوال العرب السياسية خلالها :

عندما نشبت الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٤ اتضمت الدولة العثمانية إلى جانب دولتى الوسط (المانيا والنمسا) ضد دول الوفاق الثلاثى بريطانيا وفرنسا وروسيا ونتيجة لذلك رأت بريطانيا أن من مصلحتها الاستعانة بالعرب الساخطين على الحكم العثمانى، وتشجيعهم على الثورة ضد الاتراك والانضمام إلى جانب بريطانيا وحلفائها فى مقابل بعض الوعود البراقة خاصة وان موقف العرب أصبح مهما لاستراتيجية بريطانيا لأن الاتراك كانوا فى مركز يستطيعون به تهديد المصالح البريطانية فى قناة السويس ومنطقة الخليج العربى ولاسباب دينية وسياسية واستراتيجية وقع اختيار بريطانيا على الشريف حسن بن على أمير مكة الذى كان يتطلع لأقامة دولة عربية بمساعدة بريطانيا<sup>(١)</sup> ولكى تحقق بريطانيا أهدافها دخلت عن طريق معتمدها البريطانى فى القاهرة السير "هنرى مكاهون" فى مفاوضات سرية مع الشريف حسين الذى كانت تسيطر عليه فكرة انشاء دولة عربية كبرى، والذى كان بينه وبين الاتراك جفاء كبير، وقد كان للشريف حسين ثلاثة ابناء هم على وعبد الله وفيصل، وكان كل من هؤلاء الثلاثة ينشدون القضاء على نظام المركزية فى الدولة العثمانية، وحصول الحجاز على استقلال ذاتى تحت اشراف والدم ولما كان الأمير عبد الله ثانى انجال الشريف حسين نائبا عن مكة فى مجلس المبعوثان العثمانى، وعلى علاقات طيبة مع الخديو عباس الثانى<sup>(٢)</sup> فقد اعتاد أن يمر بالقاهرة فى غدوه إلى استنبول ورواحه منها. وحدث فى ربيع ١٩١٢ أن زار الأمير عبد الله القاهرة وحل ضيفا على الخديو وخلال ذلك زار المعتمد البريطانى اللورد كتشنر الخديو وتم التعارف بينه وبين الأمير وبعد انتهاء المقابلة لحق كتشنر بالأمير ومعه السير "رونالد ستورز" السكرتير الشرقى للتصلية البريطانية. وقد روى الأمير عبد الله ذلك فى مذكراته بقوله "بعد وصولى إلى عابدين. جاءنى التشريفاتى على بك شاهين وقال اللورد كتشنرنا وقد جاء لزيارتك، وكنت مباغته خفت عاقبتها على سياسة والدى مع الاتراك وبالطبع لم استطع رفض زيارة تكريمية"<sup>(٣)</sup>.

وبعد أن استقبل الأمير عبد الله اللورد كتشنر، ودار بينهما الحديث اعرب له كتشنر عن ارتياح الحكومة البريطانية لحالة الأمن فى الحجاز، وطلب منه ابلاغ والده بأن الحكومة البريطانية لا توافق على تغيير منصب امارة مكة، ولما حاول الأمير عبد الله معرفة موقف الحكومة البريطانية فى حالة وقوع صدام بين العرب والترك لم يجد ردا شافيا من كتشنر خاصة وانه رفض التورط فى خطة محددة لمساعدة الشريف حسين وبعد انصراف المندوب البريطانى حاول الخديو عباس الثانى اقتناع الامير عبد الله بضرورة رد الزيارة لكتشنر<sup>(٤)</sup> وعلى الرغم من رغبة الأمير عبد الله فى رد الزيارة فقد استأذن أولا المندوب العثمانى بالقاهرة حتى لا يكون هناك مجالا للتناويل وبعد الموافقه زار الأمير عبد الله اللورد كتشنر فى مقره بالوكالة البريطانية ودارت الأحاديث بينهما حول شئون الحجاز، والعلاقة بين العثمانيين

(١) محمود منسى: وعد بلغور، القاهرة، دار الفكر العربى ص٦٨

(٢) عقد الأمير عبد الله علاقات صداقه مع الخديو عباس الثانى منذ عام ١٩٠٩ عندما كان الخديو يودى فريضه الحج، فقد رافقه أثناء تواجده فى مكة، وتبدلت الزيارات بينهما لدرجة أن الأمير كان ينزل ضيفا على الخديو أثناء مروره بالقاهرة فى طريقه إلى استنبول.

سليمان موسى: الحركة العربية-سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨-١٩٢٤ ص٦٦

(٣) مذكرات الملك عبد الله، عمان، منشورات مجلة الرائد الطبعة الثانية ص٩٩

(٤) مذكرات الملك عبد الله ص١٠٠

ووالده، ومدى محاولات الأتراك التدخل في المسائل الدينية، وعلى الرغم من أن هذه الزيارات لم تسفر عن نتائج محددة إلا أنها أوضحت للانجليز مدى اتساع الخلاف بين العرب والترك (١).

ولما قامت الحرب الأولى في أغسطس ١٩١٤ ترك كئشتر منصبه بالقاهرة وشغل منصب وزير الحربية البريطانية ومع ذلك لم يرغب الموقف في الشرق الأوسط عن خاطره، فابرق إلى "ستورز" للاتصال بالشريف حسين للتعرف على المعسكر الذي سينضم اليه العرب في حالة دخول تركيا الحرب بجانب الألمان ومن ثم بدأت سلسلة الاتصالات بين الطرفين والسؤال المطروح هو لماذا كانت انجلترا شديدة الرغبة في وقوف العرب بجانبها؟

الواقع ان وقوف العرب بجانب بريطانيا ضد تركيا، يضطر الأتراك إلى حجز جزء من قواتهم العسكرية في البلاد العربية بعيدا عن جبهات القتال الرئيسية، وإلى جانب ذلك فان قيام الثورة في الجزيرة العربية يمكنه ان يفصل بين القوات العثمانية الرئيسية في الشمال وبين القوات العثمانية في جنوب الجزيرة خاصة في اليمن وعسير يضاف الى ذلك أن المسلمين في كافة أنحاء العالم كانوا يدينون بالولاء للخلافة في الدولة العثمانية، وان مركز الشرافة الديني في مكة يمكن أن يحول ولاء مسلمي الهند وغيرهم من الخلافة العثمانية الى الخلافة العربية، ومن الآسائه إلى مكة .

وعلى أي حال فقد أصبح مصير البلدان العربية بين شقى الرضى فهل يستغل العرب فرصة اشتغال تركيا بالحرب ويثورون ضدها أم يقفون بجانبها ويحصلون على ثقتها الواقع ان الأمير فيصل كان من انصار الوقوف بجانب تركيا، وان السلامة كل السلامة في التعاون مع الاتحاديين خاصة وان الاطماع الفرنسية في سورية والانجليزية في جنوب العراق كانت باقية للعيان على حين كان الأمير عبد الله يرى في الثورة ضد الأتراك السبيل لتحقيق الأماني العربية، ومن هنا حاول اقتناع والده باستمرار المحادثات مع الانجليز، وخلال ذلك استقر رأي الشريف حسين على ضرورة كسب الوقت ومحاولة استطلاع آراء زعماء العرب في شبه الجزيرة والشام للتعرف على مدى استعدادهم للثورة فجرت الاتصالات بين الشريف حسين وبين جيرانه العرب فاتصل بالادارسه في عسير، وآل رشيد في حائل وآل سعود في الرياض والامام يحيى بن حميد الدين في اليمن، وخلال ذلك اكتشف ان الموقف في شبه الجزيرة يشجع على الثورة (٢) وإلى جانب ذلك فقد كانت هناك تيارات في سوريا والعراق تدعو إلى الثورة ضد العثمانيين ونتيجة لذلك ارسل الشريف حسين ابنه فيصل لاجراءات الاتصالات مع الاحزاب العربية بالشام خاصة حزب العربية الفتاة والوقوف على وضع السوريين وحالتهم النفسية وقد حل الأمير فيصل ضيفا في دمشق على "عطا الله باشا البكري: الذي عقد "حزب العربية الفتاة" أول اجتماع في بيته، وقد تأكد لفيصل في هذا الاجتماع استعداد البلدان السورية للقيام بالثورة ضد الأتراك (٣) كما اطلع اعضاء الحزب على نيه الثورة عند الشريف حسين وكانت نتيجة هذا الاجتماع التمهيدى الاتفاق بين الفريقين على القيام بثورة عامة في وقت واحد تكون نتائجها انشاء دولة عربية كبرى تشمل الحجاز والعراق وسورية تحت لواء الشريف حسين (٤) وإلى جانب ذلك فقد طلب زعماء جمعيتي العربية الفتاة والعهد من الأمير فيصل تسليم والده المخطط الذي يوضح

(١) سليمان موسى: مرجع سابق ص ٦٧.

(٢) من المعروف ان اليمن اعلنت ولائها للعثمانيين.

(٣) مذكرات الملك عبد الله ص ١٤١

(٤) فيصل بن الحسين في خطبه واقواله ص ٣٩-٤٠

حدود البلدان العربية في آسيا والتي يجب أن يدور على أساسها الحوار مع الانجليز وقد عرفت هذه الافكار باسم "بروتوكول دمشق" وقد نص فيها على ان حدود البلاد العربية التي يجب أن تعترف بريطانيا باستقلال العرب فيها تتمثل فيما يلي :

في الشمال من خط مرسين أطنه إلى خط عرض ٣٧ شمالا، ومنه على طول الخط بيرجيك -أورفة - ماردين - مديات وجزيرة ابن عمر - عمادية حتى حدود فارس. وفي الشرق تتمثل في الحدود مع ايران حتى الخليج، وفي الجنوب المحيط الهندي باستثناء عدن، وفي الغرب البحرين الأحمر والمتوسط حتى مرسين، والغاء الامتيازات الأجنبية، وعقد تحالف دفاعي بين بريطانيا والدول العربية المستقلة ومنح بريطانيا الافضلية في الشؤون الاقتصادية وقد حمل الأمير فيصل هذه الشروط الى والده في يونيو ١٩١٥، ولم تمر اسابيع قليلة حتى بدأت المراسلات المعروفة بمراسلات الحسين مكماهون، والتي هدف الانجليز من ورائها اشعال الثورة العربية ضد الاتراك وقد ارسل الشريف حسين مذكرته الى السير هنري مكماهون في ١٤ يوليو ١٩١٥ موضحا المقترحات العربية ودارت الاتصالات بينها وقد قطعت بريطانيا على نفسها من خلالها وعدا بالعمل على استقلال البلدان العربية إلا أنها أعربت عن بعض التحفظات على هذه الحدود خاصة بالنسبة لمرسين والاسكندرونة وجزاء من بلاد الشام فذكرت أن لها مصالح في جنوب العراق لاينبغي أهمالها كما أن لفرنسا مصالح في بعض المناطق بسورية وفيما عدا ذلك فان بريطانيا على استعداد للاعتراف باستقلال العرب وتأييده وتقديم كافة المساعدات اللازمة لتحقيق ذلك .

وظالت المفاوضات بين الطرفين دون أن يتمكن الحسين من الحصول على ضمانات كافية من الانجليز . واستقر الامر على أن يقوم الشريف حسين بالثورة على الاتراك والانضمام إلى الانجليز وحلفائهم في نظر أن تتعهد بريطانيا بسيادته على البلدان العربية من جبال طوروس شمالا حتى المحيط الهندي جنوبا ، وألا تعقد بريطانيا صلحا مالم يشمل شروطا تتضمن ذلك . ونتيجة لذلك بدأ الحسين يمهّد للثورة على العثمانيين فأرسل ابنه فيصل إلى دمشق لآخارة الأهالي واشعال نار الثورة ضد الاتراك وذلك بناء على إشارة منه بعد أن يهيئ الأمر لاعلان ثورته في الحجاز .

وقد حدد يوم السبت العاشر من يونيو ١٩١٦ موعدا لبدء الثورة في مكة ، فاطلق الشريف حسين بنفسه في ذلك اليوم الرصاصة الأولى على قلعة الاتراك في مكة ايذانا باعلان الثورة ، وتمكنت قواته في فترة وجيزة من تثبيت اقدامها في الحجاز ، واجبار القوات التركية الموجودة هناك على الاستسلام باستثناء المدينة المنورة التي ظلت بها الحامية التركية حتى أواخر الحرب تقريبا وعلى الرغم من محاولات الاتراك استرجاع مكة المكرمة فاتهم فشلوا في ذلك .

وقد شرح الحسين موقفه في بيانه الأول الذي ناشد فيه المسلمين جميعا بالثورة على الاتراك مستندا في ذلك إلى العاملين القومي والديني فندد بارهاب الاتحاديين وتعليقهم المشائق في بلاد الشام كما هاجمهم لخروجهم على الاسلام وبذلك عطل الدعوة إلى الجهاد التي اذاعها الاتراك في البلاد العربية ، كما ناشد الشريف حسين العرب بمساعدة القوات البريطانية في مجهوداتها بحجة أنها تعمل على تحرير بلادهم من الحكم التركي<sup>(١)</sup> .

وبإيعاز من الشريف حسين نفسه نودى به ملكا على البلاد العربية في ٢ نوفمبر ١٩١٦ ، ولكن الحلفاء لم يعترفوا له بهذه الصفة ، بل اعترفوا به ملكا على الحجاز فقط حتى لايتعرضوا لغضب أمراء

(١) انطونيوس : المرجع السابق ص ٢٣٢ ، ٢٥١ .

وعلى أي حال فقد نجح فيصل بن الحسين في اعداد قواته للقتال ، واجتذاب العديد من القبائل اليه مما مكّنه من نصف سكة حديد الحجاز بين معان والعقبة واحتلال ينبع والزحف شمالا والاستيلاء على العقبة ثم التقدم شمالا لمحاربة الاتراك في منطقة شرق الاردن وبذلك قدم للحلفاء مساعدات هامة . هذا في الوقت الذي تمكن فيه الانجليز من دخول العراق ، ونجاح اللورد اللنبي في احتلال القدس ثم دخول القوات العربية منتصرة إلى دمشق في أول اكتوبر ١٩١٨ ورفع اعلامها فوق اسوار مبانيها الحكومية وذلك قبل دخول القوات البريطانية بقيادة اللنبي اليها ثم زحفها شمالا والاشتباك مع الاتراك ، ونجاحها في دخول حمص وحلب وحماه ، وتخليص كل البلاد السورية في الحكم العثماني .

#### اتفاقية سايكس بيكو :-

وفي الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تفاوض العرب طالبة معونتهم لها في مقابل مساعدتها لهم في الحصول على استقلالهم كانت تتبع في ذلك الوقت سياسة ذات وجه آخر حيث كانت تخطط مع فرنسا وروسيا لاقتسام أملاك الدولة العثمانية واستعمارها حيث أعد المفاوض البريطاني " مارك سايكس " Mark Sykes عضو مجلس العموم والذي اشتهر بتضلعه في شئون الشرق ورحلاته في معظم اتحاء الدولة العثمانية - والمفاوض الفرنسي " جورج بيكو " - الذي كان قنصلا عاما لدولته في بيروت خلال الاعوام التي سبقت الحرب - مشروعا حددا فيه مصير الممتلكات العثمانية في آسيا والمناطق التي تعتبرها كل من الدولتين منطقة نفوذ لها . ولما كانت لهذه التسوية أهمية مباشرة لروسيا فقد انتقل سايكس وبيكو إلى بتروجراد في مارس ١٩١٦ للحصول على موافقة الحكومة الروسية (١) .

وقد انتهت هذه المباحثات بتلك الاتفاقية المعروفة باسم اتفاقية سايكس بيكو أو الاتفاقية السرية الانجليزية الفرنسية الروسية ، والتي تنص على تحديد المناطق العثمانية التي تعتبرها كل من هذه الدول الثلاث منطقة نفوذ خاصة بها وتضمنت مايلي :-

١- استعداد بريطانيا وفرنسا للاعتراف بدولة عربية مستقلة تشمل بعض مناطق العراق وشرق الاردن وقطاع دمشق أو اتحاد من الدول العربية يؤلف من الاراضي الداخلية بين العراق والشام بحيث يكون الأفضلية للدولة صاحبة العلاقة بها في النواحي الاقتصادية .

٢- تحصل فرنسا على القسطنطينية والأراضي الواقعة حول البسفور وجزء من شرق الأناضول بجوار الحدود الروسية .

٣- تحصل فرنسا على سورية ولبنان مع جزء كبير من جنوب الأناضول بما في ذلك ولاية " أطنه " " ومرسين " " والاسكندرونة " هذا بالإضافة إلى منطقة الموصل في شمال العراق .

٤- تحصل بريطانيا على المنطقة الممتدة من شرق الاردن حتى العراق حيث تدخل بغداد والبصرة ، وجميع البلاد الواقعة بين منطقة الخليج ضمن مناطق نفوذها كما تحصل على ميناءي حيفا وعكا في فلسطين .

٥- تنشأ ادارة دولية في فلسطين يحدد شكلها بالاتفاق مع ممثلي الحلفاء وممثلو شرق مكة (٢)

(١) مصطفى ماهر وكمال رضوان : ألمانيا والعالم العربي بيروت ١٩٧٤ .

(٢) منسى : حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي ص ٣٥٠ .

وبمراجعة نصوص هذه الاتفاقية يتضح مايلي :-

١- ان اتفاق سايكس بيكو جاء مناقضا تماما لاتفاق الحسين كماهون مما يؤكد ازدواجية السياسة البريطانية والتوائها.

٢- ان هذا الاتفاق كان بمثابة وثيقة وليدة للأطماع الاستعمارية في أشنع صورها ، كما أنه كان مثالا بارزا للمخاتلة ونكث العهود .

٣- ان هذا الاتفاق قسم منطقة الشرق العربي الأسيوى بطريقة تهدف إلى اقامة العقبان في طريق وحدته كما انه وضع المناطق الأكثر رخاءا وتقدما في سورية والعراق تحت السيطرة الأجنبية ، بينما سمح للمناطق الداخلية فقط بأن يقام فيها دولة عربية تتمتع بقدر من الحكم الذاتى .

والغريب فى الأمر أن العرب لم يعلموا بأمر هذه الاتفاقية عند توقيعها بل ظلت سرية حتى قامت الثورة البلشفية فى روسيا ، ونشرت جريدتا الأوزفستيا والبرافدا نصوص هذه الاتفاقية فى ٢٣ نوفمبر ١٩١٧ وقد بادرت تركيا إلى استغلال الفرصة فارسلت نص الاتفاق إلى الشريف حسين بن على ، وطالبته بالعودة إلى جانب العثمانيين بعد أن اكتشف غدر الانجليز والفرنسيين للعرب ، وعقد صلح بين العرب والترك .

وبعد أن وصل نبأ الاتفاق إلى الشريف حسين ظهر عليه الاضطراب والانفعال ، وطلب تفسيراً له من المندوب السامى البريطانى الذى عمد إلى التضليل فلم يؤكد صحة ما اذيع حول الاتفاق أو ينكره بل اتقع الشريف حسين بأن هذا الاجراء من جانب تركيا مثالا جديدا للدسائس بينهما غاية اثاره النفور بين العرب والحلفاء<sup>(١)</sup> وأن كل مافى الامر ان " الوثائق التى وجدها البلاشفة فى وزارة الخارجية فى بتروجراد لاتؤلف اتفاقية عقدت بالفعل ، ولكنها تسجيل لرسائل ومحادثات مؤقتة تبودلت بين بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا وانها اجريت فى الأيام الأولى للحرب وقبل الثورة العربية<sup>(٢)</sup>

ونتيجة لذلك استمر الحسين فى تأييده لبريطانيا وحلفائها ضد الدولة العثمانية، معتقدا أن بريطانيا ستقف بجانبه إلا أن الامور قد اتضحت له بعد ذلك خاصة وان بوادر النصر بدأت تلوح فى جانب الحلفاء وهكذا كانت اتفاقية سايكس بيكو طعنة أليمة وجهتها بريطانيا إلى العرب الذين وقفوا بجانبها خلال محنتها.

تصريح بالفور :

لم تكن اتفاقية سايكس بيكو هى الطعنة الوحيدة التى وجهتها بريطانيا للعرب، بل وجهت اليهم طعنة اخرى تمثلت فى تصريح بالفور عام ١٩١٧ والذى وعد فيه اليهود بمساعدتهم على اقامة وطن قومى لهم فى فلسطين العربية ونص هذا التصريح عبارة عن خطاب موجه من وزير الخارجية البريطانى "آرثر جيمس بالفور" إلى اللورد روتشيلد يقول فيه "إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أنه يفهم بوضوح انه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التى يتمتع بها الطوائف غير اليهودية

<sup>(١)</sup> انطونيوس : المرجع السابق ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

<sup>(٢)</sup> G. Antonius , The Arab Awakening p. ٢٥٧.

المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى<sup>(١)</sup> ويرجع اصدار هذا التصريح إلى الآتي :-

١- زيادة حدة التنافس بين بريطانيا وفرنسا من أجل السيطرة على فلسطين، وتحول اتجاه الحكومة البريطانية من مجرد الاهتمام الودى بالصهيونية والتشجيع شبه الرسمي إلى ما يقرب من التعهد والالتزام، ومن أجل ذلك ظهر وعد بلفور الذي مكن الطريق امام بريطانيا بعد انتصارها في الحرب للمطالبة بأن تكون فلسطين من حصتها في الغنائم حتى تتمكن من تنفيذ ذلك الوعد وأدى إلى ترحيب الصهاينة بإقامة حكم بريطاني في فلسطين وتأييدهم الفعلي للانجليز حتى يتمكنوا من تحقيقه .

٢- جهود حايم وايزمان chaim weizman زعيم الصهاينة في بريطانيا واستاذ الكيمياء في جامعة ماتشستر في الحصول على وعد من بريطانيا بتحقيق وطن قومي لليهود في فلسطين اعترافا من القادة الانجليز له بخدماته العلمية في تحضير مادة الاستون التي تدخل في صناعة الذخائر والمتفجرات .

٣- رغبة الحلفاء في كسب ود اليهود الألمان إلى جانبهم حتى يحصلوا منهم على الاسرار الحربية لألمانيا، ويقومون بدور المخرب والمناوىء لاعداء بريطانيا.

٤- رغبة الانجليز في توسيع حدة المشاكل بين العرب حتى لا يتمكنوا من النهوض في اعقاب الحرب، مما أثار الحيرة والفرع في نفوس العرب الذين فسروا الوعد على انه بمثابة انكار لحرية العرب السياسية في فلسطين ونقضا للعهود التي قطعها الانجليز لهم، كما رأوا في هذا التصريح اعتداء على جزء من اراضيهم وملب حقوق أهلها وتسليمه للصهاينة.

كل ذلك أدى إلى صدمة عنيفة وتزايد الشعور بالعداء للانجليز.

أحوال العالم العربي السياسية أثناء الحرب وفي أعقابها :

حدثت الحرب العالمية الأولى في الوقت الذي كانت فيه معظم البلدان العربية واقعة تحت الحكم الاستعماري فقد كانت بريطانيا تحتل عدن منذ عام ١٨٣٩ وتسيطر على مشيخات وامارات الخليج العربي هذا بالاضافة إلى قيامها باحتلال مصر في عام ١٨٨٢ وكانت فرنسا تحتل الجزائر منذ ١٨٣٠ وتونس منذ عام ١٨٨١ وماراكش منذ عام ١٩١٢ وكانت ايطاليا تحتل ليبيا منذ عام ١٩١١ اما عن بلاد الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية فقد ظلت بعيدة حتى هذه الفترة عن الاستعمار الاوربي وان كان أهلها ينفون من نير الحكم التركي، ويعملون على التخلص منه، ونيل استقلالهم وبعد انتهاء الحرب وانتصار الحلفاء على ألمانيا وحلفائها خرج الاتراك من بلاد الشام والعراق والجزيرة العربية، وتأهبت قوات الثورة العربية للامساك بزمام الامور، فدخلت القوات العربية دمشق في ٣٠ سبتمبر ١٩١٨ وأعلنت فيها الحكومة العربية<sup>(٢)</sup> ولكن انجلترا وفرنسا كانتا تبيتان للعالم العربي غير ماكان يمانه، ولما كان مصير البلاد العربية بعد الحرب لايمكن تقريره إلا في مؤتمر الصلح المنعقد في فرساي فقد وصل زعماء العرب ومنهم الأمير فيصل بن الحسين إلى هناك وظل يعلق الامال على تحقيق المطالب العربية في مؤتمر الصلح، والدفاع عن مصالح الأمة العربية

(١) مسمى: تصريح بلفور ص ٩٨ - ٩٩ .

(٢) للتفاصيل انظر حبرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق ، بيروت ١٩٨٢ ص ٥٦ .

وصل الأمير فيصل بن الحسين إلى باريس في يناير ١٩١٩ على رأس الوفد الحجازي في مؤتمر الصلح فوجد أن هناك ثلاث عقبات تعترض الأمانى العربية وهى:

١- أطماع بريطانيا فى فلسطين والعراق

٢- أطماع فرنسا في سورية

٣- الأطماع الصهيونية في فلسطين

أما بالنسبة للجزيرة العربية فقد كانت تقريبا بمنأى عن هذه الأطماع اللهم حرص بريطانيا على الاحتفاظ بمحمياتها في الخليج وإلى جانب هذه العقبات فقد كان الفرنسيون لا يريدون الاعتراف بالأمير فيصل بحجة أنهم لم يعترفوا بالحجاز كدولة مستقلة، كما أنهم يعترضون على تدخله في أمور البلاد السورية. ونظرا لتعقد الأمور سافر الأمير فيصل إلى لندن للبحث عن مخرج فاستقبل هناك بترحيب كبير، ولكنه فوجيء بأن اتفاق سايكس بيكو كان حقيقةً وبأنه ليس في خيال الروس كما ردد الانجليز من قبل. وبعد مشاورات ومداولات سمح للأمير فيصل بدخول مؤتمر الصلح، وحجز مقعدين للحجاز فشارك بمذكرة وجهها إلى أعضاء المؤتمر طالب فيها الاعتراف باستقلال وسيادة الشعوب العربية القاطنة في آسيا واستند في ذلك إلى مبادئ الرئيس الامريكى ولسون في حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها كما اعترض على مشروع تقسيم البلاد العربية ووصف الانتداب عليها بأنه مخل بالأمن العام في الشرق كله وطالب بتعيين لجنة امريكية بريطانية فرنسية وعربية للنظر في المسائل المتعلقة بالجلء ، واستطلاع رأى الأهالى ورغباتهم حول تقرير مصيرهم <sup>(١)</sup>

وقد وافق المؤتمر على اقتراح فيصل بارسال لجنة دولية إلى بلاد الشام ، ونظرا لرفض فرنسا وبريطانيا الاشتراك في هذه اللجنة ، وتحمس الرئيس الامريكى ' ولسن ' لها أرسلت الحكومة الامريكية لجنة " كنج كراين " <sup>(٢)</sup> للتعرف على رغبات العرب ومطالبهم . وقد بدأت اللجنة أعمالها فدخلت دمشق واجتمعت بذوى الشأن فيها ، كما اخذت في استقصاء الامر ، فوجدت أن هناك شبه اجماع على طلب الاستقلال . وخلال ذلك وتأكيدا للرغبة في استقلال بلاد الشام عن النفوذين الفرنسى والبريطانى تقدم بعض زعماء الشام باقتراح الى الأمير فيصل مؤداه تشكيل مجلس وطنى واجراء انتخابات عامة حتى يثبت السوريون أمام اللجنة الامريكية أمانيتهم وأمالهم لتقدمها للجنة الى مؤتمر السلام <sup>(٣)</sup> . ونتيجة لذلك اجتمع فى دمشق في مارس ١٩٢٠ المجلس الوطنى الذى أصبح يعرف بالمؤتمر السورى العام والذى أصدر عدة قرارات تتركز في :-

١- اعلان استقلال سوريا ولبنان والأردن كدولة واحدة على أن يكون نظام الحكم فيها ملكيا دستوريا ، وتنصيب الأمير فيصل بن الحسين ملكا عليها .

٢- اعلان استقلال العراق والمناداة بالأمير عبد الله بن الحسين ملكا عليها .

٣- رفض اتفاقية سايكس بيكو ، ووعده بلفور وكل مشروع يهدف إلى تقسيم بلاد الشام وانشاء دولة يهودية في فلسطين .

<sup>(١)</sup> ذوقان قرطوط : المشرق العربى في مواجهة الاستعمار قراءة في تاريخ سوريا المعاصر ص ٨٥.

<sup>(٢)</sup> نسبه إلى هنرى كنج ، وشارلس كراين .

<sup>(٣)</sup> كامل الغزى : نهر النعب في تاريخ حلب ص ٣٥٥ ، ص ٧٣٥ .

٤- رفض نظام الانتداب الذي يعطى لبريطانيا وفرنسا حق الوصاية السياسية على البلاد العربية .

٥- مناقشة الرئيس الأمريكي ولسن بالوقوف في وجه الممارسات الاستعمارية ضد البلاد العربية .

وعلى الرغم من ذلك فان هذه القرارات لم تأت بالنتائج المرجوة خاصة وأن الجيوش الانجليزية كانت تحتل العراق وفلسطين ، كما كانت تسيطر الجيوش الفرنسية على شواطئ الشام ، وإلى جانب ذلك فان قرارات لجنة كنج كراين بعدالة الأمتى القومية للعرب ، وتوصيتها بوحدة سورية تحت رئاسة الأمير فيصل قد ذهبت ادراج الرياح وأخذت كل من انجلترا وفرنسا في تدبير المؤامرات لسلب العرب حقوقهم والمساومة على اقتسام سورية والعراق فيما بينهما <sup>(١)</sup> فابلغت الحكومة الانجليزية الأمير فيصل باتفاقها مع فرنسا وطالبته بالسفر إلى باريس لمشاورة الحكومة الفرنسية في المطالب العربية ، وقد قابل الأمير فيصل الرئيس الفرنسي كليمنصو ، وعقد معه اتفاقاً عارضه أهالي الشام وواجهوه بثورة عارمة . ولما لم يجد الحلفاء بدا من كشف النقاب عن مؤامرتهم ومصارحة العرب بما يدور فيما بينهم اجتمع المجلس الأعلى للحلفاء في " سان ريمو " في ٢٥ ابريل ١٩٢٠ وقرر وضع العراق تحت الانتداب البريطاني ، بالإضافة إلى فلسطين مع تنفيذ وعد بلفور ، وكذلك وضع سورية ولبنان تحت النفوذ الفرنسي مما أدى إلى امتياع الشعوب العربي ، وازدياد الكراهية للدول الأوروبية .

وهكذا أنشأ الانجليز والفرنسيين مخالبتهم في العراق والشام هذا بالإضافة إلى نكث بريطانيا بوعودها للمصريين فانكرت عليهم حقهم في الحرية والاستقلال بعد أن اعترف مؤتمر الصلح بالحماية البريطانية على مصر . وبذلك دخل العرب مرحلة جديدة من تاريخهم تتسم بالكفاح ضد الاستعمار الأوربي وأطماعه .

(١) بحجج الأرمنازي : سورية من الاحتلال حتى الجلاء ، بيروت ص ١١ .